شرح كتاب كشف الشبهات

لفضيلة الشيخ : عبد الكريم الخضير حفظه الله تعالى

اللقاء الثامن عشر

جمعية معرفة بالمدينة المنورة
مرخصة من المركز الوطني لتنمية القطاع غير الربحي
برقم (٨٠٠)

برنامج ثمرات التابع لجمعية معرفة بالمدينة المنورة
عبر مواقع التواصل الاجتماعي
واتس آب - تلجرام

(إذا ثبت ذلك فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة، يريدون منهم أن يدعو الله أن يحاسب الناس) لا يأتون إلى الأنبياء ويقولون: أغيثونا، خلصونا من الكرب، ارفعوا عنا هذا الكرب، لا، بل يقولون: ادعو الله أن يفرج عنا، فهي استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه **(يريدون منهم أن يدعو الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك وتقول له: ادعُ اللهَ لي)**، [وأمر النبيُّ ﷺ الصحابة أن يأتوا إلى أويس -وهو من التابعين- ويطلبوا منه الدعاء، وجاءه عمر -كما في صحيح مسلم- وطلب منه الدعاء][1]، [وجاء الأعرابي والنبي ﷺ على المنبر فطلب منه أن يدعو ويستسقي فسقوا، ولم يروا الشمس سبتًا، ثم جاء الأعرابي أو غيره فقال: ادعُ الله أن يكشف عنا، تهدمت البيوت، وتقطعت السبل، فدعا][2].

فطلب الدعاء من الحي القادر لا إشكال فيه، وجاءت به النصوص، وقحط الناس في سنة سبع عشرة في عهد عمر وأجدبوا، فاستسقى عمر وقال: "اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك -النبي ﷺ عندهم، قريب في بيته، قريب المسجد، لكنه في قبره- فتسقينا، ونحن الآن نستشفع ونستسقي بعم نبيك العباس، قم يا عباس"، فقام العباس فدعا فسقوا.

يعني لو كان الاستسقاء والاستشفاع بالنبي ﷺ بعد وفاته لما ساغ لعمر ولا لغير عمر أن يستشفع بالعباس والنبي ﷺ موجود، مادام في قبره، شيء لا يقدر عليه مخلوق، لا يقدر على مثل هذا، مع أنه أشرف الخلق على الله وأكرمهم عليه **(كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته)** أن يدعو لأمته، يدعو لهم بالنصر، ويدعو لهم بنزول المطر وغير

---

[1] يشير الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه من رواية أسير بن جابر.

[2] يشير الشيخ حفظه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه قال: [جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال : يا رسولَ اللهِ هَلَكَتْ المواشي، وتَقَطَّعَتْ السُّبُلُ، فادْعُ اللهَ. فدعا اللهَ، فمُطِرْنَا من الجُمُعةِ إلى الجُمُعةِ، فجاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، تَهَدَّمَتِ البيوتُ، وتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ ، وهَلَكَتِ المواشي، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: اللهمَّ على ظهورِ الجبالِ والآكامِ، وبطونِ الأوديَةِ ومنابتِ الشجرِ، فانجابتْ عن المدينةِ انجيابَ الثوبِ].

ذلك **(وأما بعد موته فحاشا وكلّا أنهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر السلفُ الصالحُ على من قصد دعاء الله عند قبره)**.

الدعاء، يدعو الله، لكن عند قبر النبي ﷺ، كما جاء عن علي بن الحسين زين العابدين ابن علي بن أبي طالب رأى رجلاً يطل مع نافذة على قبره عليه الصلاة والسلام ويدعو الله، فنهاه عن ذلك[3]، هو يدعو الله ما يدعو النبي ﷺ لكن هذه وسيلة من وسائل الشرك، **(بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف دعاؤه بنفسه؟!)** كيف يدعى الرسول ﷺ؟!

(ولهم شبهة أخرى) وهي الثانية عشرة **(وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما أُلقِيَ في النار، اعترض له جبريل وهو في الهواء)** قبل أن يقع في النار، قبل أن يصل، النمرود أضرم نيران كبيرة جدًا، وألقي إبراهيم عليه السلام بالمنجنيق، لا يستطيعون أن يقربوا منه لشدة حرها وعظم هولها، لما اعترض له جبريل في الهواء **(فقال: "ألك حاجة؟" فقال إبراهيم عليه السلام: "أما إليك فلا"[4]، قالوا: "لو كانت الاستغاثة بجبريل شركًا لم يعرضها على إبراهيم)**

أولاً: القصة في ثبوتها نظر، والأكثر على عدم ثبوتها، وأنها جاءت عن كعب الأحبار، ولم تثبت بطريق صحيح عن نبي الله ﷺ.

الأمر الثاني: أنه على تقدير ثبوتها **(فالجواب)** كما قال الشيخ: **(أن هذا من جنس الشبهة الأولى)**: جبريل حي قادر على إنقاذ إبراهيم، قادر على أن ينقل النار ومن حولها بأهلها بقراها بسكانها ويلقيها في المشرق أو المغرب -كما فعل بقرى قوم لوط- وقادر على أن ينتشل إبراهيم عليه السلام من هذه النار، ويجعله في مكان آمن، أو يرفعه إلى السماء.

---

[3] اقتضاء الصراط المستقيم (٣٣٧/١).

[4] أوردها الطبري في تفسيره (٤٣/٩)، والحافظ ابن كثير في تفسيره أيضًا (٣٠٨/٥).

حي قادر، لا إشكال في مثل هذا الطلب، هذا على ثبوت صحتها، وإلا فإنها لم تثبت.

يقول الشيخ: **(أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عليه السلام عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه: (شَدِيدُ الْقُوَى)[5])** وجاء في التفسير أنه رفع قرى قوم لوط -جميع القرى ستمائة قرية رفعها بجناح واحد[6]-.

(فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم، وما حولها من الأرض، والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره الله أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجًا، فيعرض عليه أن يُقرضَه أو يهب له شيئًا يقضي به حاجته، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منَّة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟!)

إبراهيم عليه السلام كان جوابه -إن صح الخبر-: "أما منك فلا، وأما من الله فبلى"، إبراهيم توكَّل على الله، النار محرقة، وقال عليه السلام: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، ولذا جاء عن ابن عباس وغيره: [قالها إبراهيمُ عليه السلام حينَ أُلْقِيَ في النارِ، وقالها محمدٌ ﷺ حينَ قالوا: (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[7]][8] المقصود أن الاستغاثة في مثل هذا -يعني في في مقام إبراهيم، ومنزلته عند الله، وقوة توكُّله على الله- الأكمل في حقه ما حصل، لكن لو وافق على طلب الإغاثة، ونفعه جبريل بأمر الله جل وعلا بأن ينقذه من النار

---

[5] سورة النجم آية ٥.

[6] أوردها ابن كثير في تفسيره لسورة (هود الآية ٨٣) عن مجاهد وقتادة وغيرهم.

[7] سورة آل عمران آية ١٧٣.

[8] أخرجه البخاري في صحيحه من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

هذه استغاثة من مخلوق فيما يقدر عليه، ليست من نوع ما يدعون، لكن إبراهيم توكَّل على الله حق التوكُّل فأنقذه الله **(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)**[9] فصارت روضة خضراء، ذكر القشيري في [الرسالة القشيرية]، ونقله عنه الشاطبي في [الموافقات] أن ثلاثة يمشون في صحراء فسقطوا في بئر، فلما أصبحوا جاء أناس يمشون وقالوا: هذه البئر في طريق الناس فلو سقفناها حتى لا يقع فيها أحد، الثلاثة يسمعون الكلام فقالوا: "إننا نتوكل على الله وسوف ينجينا الله بهذا التوكل"، وسقفوا البئر، ثم جاء أناس آخرون فقالوا: "هذه بئر مكان بئر، لو بعثناها من جديد ليستفيد الناس منها"، فكشفوا السقف هذا وخرج الثلاثة، لكن هل يجوز للإنسان أن يصنع صنيع هؤلاء؟ أليست هذه تهلكة يُسقَف البئر وهم في جوفها؟! لا شك أن التوكل **(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)**[10] أي كافيه، لكن مع ذلك هناك أمور جاءت بها نصوص، كما حصل: لإبراهيم، وكما حصل لأم موسى، وضعته في صندوق في تابوت وألقته في البحر، هل يقول من يترجح عنده التوكل أن يفعل بولده مثل هذا؟ يجعله في تابوت ويلقيه في البحر؟! لا يجوز بحال، مهما بلغت عنده درجة التوكل، في شرعنا مثل هذا لا يجوز، وأيضًا [صاحب القرض الذي اقترضه وأشهدَ الله عليه، ألف دينار من الذهب، وحل الأجل فخرج إلى البحر من أجل أن يجد مركبًا ليدفعه إلى صاحبه -هذا في البخاري- فلم يجد، فوجد خشبة فنقرها وأودع فيها الدنانير ورماها في البحر، فخرج صاحبها يتمشى ويقول: لعل صاحب القرض يصل، فوجد الخشبة، ما وجد صاحب القرض، وجد الخشبة، فأخذها ليوقد عليها، فلما نشرها وجد الدنانير فيها، والخطاب مكتوب فيه: أن هذا كذا وكذا][11]، هل يجوز لأحد أن يرمي المال بهذه الطريقة؟ سيقت في شريعتنا مساق المدح، لكن لا يجوز له أن يصنع

---

[9] سورة الأنبياء آية ٦٩.

[10] سورة الطلاق آية ٣.

[11] إشارة إلى حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٩٨) معلقً ووصله في موضه آخر: [أن رجلاً من بني إسرائيلَ، سأل بعضَ بني إسرائيلَ بأن يُسْلِفَه ألفَ دينارٍ، فدفعَها إليه، فخرج في البحرِ فلم يجدْ مركبًا ، فأخذ خشبةً فنقرها ، فأدخلَ فيها ألفَ دينارٍ، فرمى بها في البحرِ، فخرج الرجلُ الذي كان أسْلَفَه، فإذا بالخشبةِ، فأخذها لأهلِه حطبًا - فذكر الحديثُ - فلما نشرها وجدَ المالَ].

بالمال؛ لأنه في شرعنا نهى عن إضاعة المال، ومع ذلكم المقترض لما وجد المبلغ أخذ المال نفس المال وذهب به إلى صاحبه وأعطاه إياه، قال: لا، المال وصل، لكن في شرعنا لا نلقي بالولد في البحر، ولا نلقي بالمال في البحر؛ لأن هذا قتل، وما الذي يضمن لك أنك وصلت إلى درجة من توكل على الله حق التوكل؟!، مثل ما حصل عند أم موسى لمصلحة راجحة، لكن لا يجوز أن يقتدى بهم في هذه الأفعال.

يقول الإمام المجدد رحمه الله في خاتمة هذا الكتاب: **(ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جدًا تفهم مما تقدم)** يعني خلاصة ما تقدم **(ولكن نُفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل)** التوحيد وكذلك الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، فالعمل -مثل النطق ومثل الاعتقاد- ركن ركين، وشرط صحة كما هو المقرر عند علماء هذه الأمة وسلفها، **(لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا)** إن آمن بقلبه ولم يتكلم بلسانه ولم يعمل صار مثل إبليس وفرعون يعرفون الله جل وعلا، إبليس يقول: **(فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ)**[12] ومع ذلك ما انقاد لهذه المعرفة؛ فحُكِم عليه بالكفر، فرعون أيضًا عرف الله جل وعلا **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ)**[13] جحد بها، وبلسانه قال: "أنا ربكم الأعلى"، وفي باطنه المعرفة، ومع ذلك لم ينفعهم هذا الإيمان، لا إبليس ولا فرعون ولا من يدعي أنه يكفي في الإسلام المعرفة أو في الإيمان المعرفة، وهذا قول **غلاة الجهمية**، وألف منهم من ألف إيمان فرعون ونجاة فرعون، نسأل الله العافية.

يكون بالقلب، هذا عرف بالقلب، لكنه ما نطق باللسان، ولا عمل هذا (كافر) بلا شك.

---

[12] سورة ص آية ٨٢.

[13] سورة النمل آية ١٤.

نطق باللسان ولم يعتقد بالقلب ولا عمل الأعمال هذا حكمه (حكم المنافقين) الذين هم في الدرك الأسفل من النار.

عمل بالجوارح ولكنه ما نطق باللسان ولا اعتقد بالقلب هذا أيضًا لا ينفعه، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا.

(فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا) يعني ما تمشي الأمور عند أهل بلدنا إلا أن لا نعمل بالتوحيد وإن عرفناه، يقولون: هذا حق الكلام الذي تقولونه في التوحيد لكن لا نستطيع أن نعمل به مداهنة لقومنا، **(ولكن لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا)** يعني ما يمشي **(إلا من وافقهم)** ما يعيش عندهم **(إلا من وافقهم وغير ذلك من الأعذار، ولم يدرِ المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: (اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً)**[14] **وغير ذلك من الآيات كقوله: (يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ))**[15].

[هرقل عرف الرسول ﷺ حق المعرفة، وعرف الدين وأنه حق وكاد أن يُسلم، بل طلب من أعوانه أن يدخلوا في هذا الدين، قال: ما رأيكم أن ندخل في هذا الدين فحاصوا حيصة الحمر الأهلية، وخاف على نفسه وقال: إنما قلت ما قلت لأختبركم وأختبر ثباتكم][16].

وعلى كل حال معرفته من خلال أسئلته والأجوبة وما عقَّب به على هذه الأجوبة معرفة خبير، لكنه شح بملكه، وآثر الدنيا على الدين.

ومعرفة أبي طالب للدين وأنه حق لكن ما نفعه ذلك، وقال:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا المذمة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا

---

[14] سورة التوبة آية ٩.

[15] سورة البقرة آية ١٤٦.

[16] إشارة إلى حديث أبي سفيان بن حرب - الطويل - في صحيح البخاري، وفيه: [دَعا هِرقلُ عُظماءَ الرُّومِ، فجَمعَهُم في دارٍ لَه، فَقال: يا مَعشرَ الرُّومِ، هَل لَكم في الفَلاحِ والرُّشدِ آخِرَ الأَبدِ، وأن يَثْبُتَ لَكم مُلكُكم؟ قال: فَحاصوا حَيصةَ حُمُرِ الوَحشِ إلى الأبوابِ، فوَجَدوها قد غُلِّقَت، فَقال: عليَّ بِهم، فَدَعا بِهِم فقال: إنِّي إنَّما اختَبرْتُ شِدَّتَكم على دينِكُم]

لكنه قد سبقت عليه الشقاوة ماذا قال في آخر وقته -خوفًا من الجزع أو الخرع أو يقال أنه خاف أو ذعر- في هذه اللحظة قال: [هوَ على مِلَّةِ عَبدِ المُطَّلِبِ][17]، معرفته ما نفعته.

وأما غلاة الجهمية -الذين كتبوا في إيمان فرعون- قالوا بإيمان أبي طالب، على كل حال هذه المعرفة وحدها لا تكفي، لا بد أن ينطق، ولا بد أن يعمل.

(ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم وغير ذلك من الأعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى (اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً) وغير ذلك من الآيات كقوله: **(يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ))**.

اليهود يعرفون الرسول ﷺ كما يعرفون أبناءهم؛ لما جاء من صفته في كتبهم، وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا، يقولون للمشركين: "أظلنا وقت نبيٍّ سنقاتلكم معه"، فلما خرج من العرب حسدوهم وجحدوا ما عرفوه، وقالوا: إنه ليس بنبي، أو أنه نبي لكنه خاص بالعرب.

(فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهرًا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص)؛ لأن الكفار في الدرك الأسفل من النار، **((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)** [18]).

شفع النبي ﷺ لعمه أبي طالب لأنه نصره، ونصر دعوته، ولذا قال النبي ﷺ: [وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ][19]

أبو طالب كافر أم منافق؟ كافر.

فكيف لولا شفاعة النبي ﷺ لكان أبو طالب مع المنافقين، وما كان مع الكفار؟ [لكان في الدرك الأسفل من النار].

النفاق أشد، لكن هل أبو طالب أشد من الكفار؟!

---

[17] قطعة من حديث أخرجه البخاري (٤٧٧٢) واللفظ له، مسلم (٢٤).

[18] سورة النساء آية ١٤٥.

[19] قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) من حديث العباس بن عبد المطلب.

يعني هل تفترض أن أبا طالب الذي نصر النبي ﷺ ونصر دعوته أشد من أخيه أبي لهب الذي آذى النبي ﷺ، بل أبو لهب كافر مع الكفار، والمنافقون تحته، والنبي ﷺ يقول: [وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ]' -يعني أبا طالب الذي نصره ونصر دعوته- لولا هذه النصرة كان في الدرك الأسفل من النار؟ هو شفع له بسبب نصرته، ولولا هذه الشفاعة لكان في الدرك الأسفل من النار، يعني مع المنافقين، وأخوه أبو لهب فوقه!

الجواب: لإنه عرف الحق من قرب، فكان حكمه حكم المنافقين الذين عرفوا الحق، وعاشوا بين النبي ﷺ والصحابة، وهذا يختلف حكمه عن حكم من جهل الأمر، لا يعرف من الحق شيئًا كالكفار.

(وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به).

انتهى اللقاء